

ڪامل ڪيلاني

معلم النباح



مُعَلِّمَ النَّبِيَّاتِ



# مُعَلِّمُ النَّبَّاحِ

تأليف  
كامل كيلاني

صفحات

<http://www.safahat.org>

مُعَلِّمُ النَّبَّاحِ

كامل كيلاني

### موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات  
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره  
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة  
جمهورية مصر العربية

تليفون: +٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ فاكس: +٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١

البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.safahat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.  
جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

## المحتويات

٧

١٣

٢٣

١- هَارِبٌ مِنَ الْمُطَارِدَةِ

٢- الْخَطَّةُ وَالْجَزَاءُ

٣- أَخْلَاقُ النَّاسِ



## الفصل الأول

# هَارِبٌ مِنَ الْمُطَارِدَةِ

### (١) زَائِرُ اللَّيْلِ

كَانَ مِنْ بَيْنِ جِيرَانِنَا الْمُتَّصِلِينَ بِنَا، جَارٌ أَسْمُهُ: «أَبُو عَامِرٍ». اِسْتَهَرَ بِالنَّشَاطِ بَيْنَ التُّجَّارِ، وَكَثُرَتْ مِنْهُ فِي الْبِلَادِ الْأَسْفَارُ. أَصْبَحَ الْيَوْمَ بِفَضْلِ مَا تَوَافَرَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، مَيْسُورَ الْحَالِ. اِكْتَسَبَ مِنْ أَتْجَارِهِ، فِي أَسْفَارِهِ، بَرَايَةً وَاسِعَةً، وَخَبْرَةً جَامِعَةً. ظَلَّ وَقْتًا طَوِيلًا، وَهُوَ يَنْأَى بِنَفْسِهِ عَمَّا يَشِينُ التَّاجِرَ الْأَمِينِ. لَكِنَّهُ تَأَثَّرَ — أَخِيرًا — بِمَا لِبَعْضِ التُّجَّارِ مِنْ حَيْلٍ وَأَسَالِيِبٍ.

فُوجِئْتُ بِهِ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، يَطْرُقُ بَابِي، عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ. قَالَ لِي: «مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ، إِذْ طَرَقْتُ بِابِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ اللَّيْلُ. ضَاقَ صَدْرِي بِمَا أَنَا فِيهِ، فَجِئْتُ أَفْضِي إِلَيْكَ بِمَا أَعَانِيهِ.» دَهَشْتُ حِينَ تَبَيَّنْتُ حَالَ جَارِي، عَلَى خِلَافِ عَهْدِي بِهِ.

حَاوَلْتُ أَنْ أَهْدِيَهُ مِنْ رَوْعِهِ، وَأَنْ أُسْرِيَ الْهَمَّ عَنْهُ. قُلْتُ لَهُ: «طِبِّ نَفْسًا، وَلَا تَسْتَسَلِمْ لِمَا يَضِيقُ بِهِ صَدْرَكَ. مَا مِنْ مُشْكَلَةٍ إِلَّا وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ حَلٍّ، أَوْ مِنْ حُلُولٍ إِحْكَ لِي كُلُّ مَا سَبَبَ لَكَ الْقَلْقَ. لَا تَكْتُمْ عَنِّي شَيْئًا.»

### (٢) حَيْلَةُ «رَأْسِ الْوُزَةِ»

قَالَ «أَبُو عَامِرٍ»: «أَتَذَكُرُ يَا «جُحَا»، مَنِ اسْمُهُ: «أَبُو إِسْحَقَ»؟»  
قُلْتُ: «أَتَعْنِي صَاحِبَنَا الَّذِي كَانَ لَقَبُهُ: «رَأْسُ الْوُزَةِ»؟»  
قَالَ: «مَا أَذْكَاءُ! أَنَا مَا عَنَيْتُ — يَا «جُحَا» — سِوَاهُ.»



## مُعَلِّمُ النُّبَاحِ

قُلْتُ: «لَيْسَ فِي بَلَدِنَا مَنْ عَرَفَ «رَأْسَ الْوَزَّةِ»، ثُمَّ يَنْسَاهُ. لَقَدْ أَسْفَنَّا لَهُ أَشَدَّ الْأَسْفِ،  
وَسَأَلْنَا اللَّهَ أَنْ يَلْطُفَ بِحَالِهِ.»

قال «أبو عامرٍ»: «لَعَلَّكَ تَقْصِدُ مَا ذَاعَ مِنْ أَنَّهُ أُصِيبَ بِجُنُونٍ. هَذِهِ — فِي ظَاهِرِ  
الْأَمْرِ — شَائِعَةٌ، مَلَأَتْ الْأَسْمَاعَ، وَعَمَّتِ الْبِقَاعَ. مِثْلَكَ لَا يُصَدِّقُ فِي شَأْنِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»،  
أَنْ يَخْتَلِطَ عَقْلُهُ. أَمَّا أَنَّهُ تَظَاهَرَ بِالْجُنُونِ، أَمَامَ النَّاسِ، فَهَذَا مَا حَدَّثَ مِنْهُ. إِنَّهُ لَجَأَ  
إِلَى ادِّعَاءِ الْجُنُونِ، لِكَيْ يَقْضِيَ فِي نَفْسِهِ حَاجَةً! سِرٌّ ذَلِكَ أَنَّ ظُرُوفًا دَعَتْهُ إِلَى اقْتِرَاضِ  
الْأَمْوَالِ مِنْ عَارِفِيهِ. أَصَابَتْهُ أَحْدَاثٌ لَمْ يَسْتَطِعْ مَعَهَا أَنْ يَرُدَّ مِنَ الدُّيُونِ مَا عَلَيْهِ. لَمْ يَرَ  
بَدَأًا، لِلْهَرَبِ مِنْ مُلَاحَقَةِ الدَّائِنِينَ، مِنْ ادِّعَاءِ الْجُنُونِ. كَانَ بَارِعًا، كُلَّ الْبَرَاعَةِ، فِي التِّزَامِ  
التَّصَرُّفِ الدَّالِّ عَلَى خَبَالِهِ. لَمْ يَكُنْ هَذَا بِمُسْتَكْتَرٍ عَلَى «رَأْسِ الْوَزَّةِ» فِي ذِكَايِهِ. لَمْ تَلْبِثْ  
حِيلَتُهُ أَنْ جَارَتْ عَلَى كُلِّ مَنْ اتَّصَلَ بِهِ.»



### (٣) مُحَاصِرَةُ الدَّائِنِينَ

سَأَلْتُ «أَبَا عَامِرٍ» صَاحِبِي، وَقَدْ بَدَأَ تَطَلُّعِي لِمَا سَيَحْكِيهِ: «أَصَارِحُكَ — يَا «أَبَا عَامِرٍ» — بِمَا يَدُورُ فِي نَفْسِي الْآنَ. إِنَّ مَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ فِي شَأْنِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»: حَدِيثٌ مُجْمَلٌ. لَاشْكَّ أَنَّ وِرَاءَكَ — مِنْ خَبَرِ هَذَا الرَّجُلِ — مَا وِرَاءَكَ. إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ مَانِعٌ، فَلَا تُخَفِّ عَنِّي أَيَّ شَيْءٍ.»

قَالَ «أَبُو عَامِرٍ»: «أَنْتَ بِخَبْرِكَ وَفِطْنَتِكَ تَسْتَشْفُ مَا يَخْفَى. سَأَفْصِلُ لَكَ — الْآنَ — مَا سَبَقَ أَنْ أَجْمَلْتُهُ مِنْ حَدِيثٍ. لَمَّا أَثْقَلَتِ الدُّيُونُ «رَأْسَ الْوَزَّةِ»، عَزَّتْ عَلَيْهِ مُوَاجَهَةُ دَائِنِيهِ. كَانَ يَشْعُرُ بِأَشْدَّ الْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ، كُلَّمَا لَقِيَ أَحَدًا مُطَالِبِيهِ. إِتَّخَذَ وَسَائِلَ مُخْتَلِفَةً، لِكَيْ يَتَجَنَّبَ رُؤْيَتَهُ لَهُمْ، وَتَعَقَّبَهُمْ لَهُ. مِمَّا حَرَصَ عَلَيْهِ، أَنَّهُ لَا يُغَادِرُ بَيْنَهُ إِلَّا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ. اِكْتَشَفَ الدَّائِنُونَ حِيلَتَهُ، فَكَانُوا يَسْهَرُونَ لِمُلَاقَاتِهِ، وَيَتَرَصَّدُونَ لَهُ. أَتَعْرِفُ — يَا «جُحَا» — مَاذَا أُتَّخَذَ أَحْيَرًا، إِزَاءَ ذَلِكَ، مِنْ وَسِيلَةٍ؟ أَتَرَى أَنَّ يَخْتَبِئَ عَنِ الْعُيُونِ فِي دَارِهِ، وَيَعْلِقُ بَابَهُ عَلَيْهِ.»

### (٤) عَهْدٌ وَاتِّفَاقٌ

قُلْتُ لَهُ: «فِيمَ أَهْتِمَامِكَ بِ«رَأْسِ الْوَزَّةِ»، عَلَى هَذَا الْوَجْهِ؟ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ لَكَ صِلَةً شَخْصِيَّةً بِهَذَا الَّذِي تَحْكِيهِ!»

قَالَ «أَبُو عَامِرٍ»: «لَمْ يَنْتَهِ حَدِيثِي مَعَكَ. سَأُوَصِلُ الْقِصَّةَ. كُنْتُ بَيْنَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَصَدَهُمْ «رَأْسُ الْوَزَّةِ»، لِيُقْرِضُوهُ. أَرَدْتُ تَفْرِيحَ كُرْبَتِهِ، فَلَمْ أَتَرَدَّدْ فِي تَسْلِيْفِهِ مِائَةَ دِينَارٍ. لَمَّا رَأَيْتُ إِمْعَانَهُ فِي أَحْتِجَابِهِ، شَكَّكْتُ فِي حَقِيقَةِ غِيَابِهِ. دَعَانِي هَذَا الشُّكُّ إِلَى أَنْ أُتَابِعَ أَمْرَهُ، حَتَّى كَشَفْتُ سِرَّهُ. لَمَّا رَأَيْتُ، عَبَسَ فِي وَجْهِهِ، وَظَهَرَتِ الْحَيْرَةُ عَلَى وَجْهِهِ. مَا زِلْتُ أُونِسُهُ بِالْكَلَامِ، حَتَّى زَالَتْ وَحَشَتُهُ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ. تَحَدَّثْتُ مَعَهُ فِي شَأْنِ دَائِنِيهِ، وَمَاذَا هُوَ صَائِعُ الْآنَ فِيهِ؟ عَرَضْتُ عَلَيْهِ فِكْرَةً، تُبَيِّحُ لَهُ الْفِكَاكَ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيهِ. إِشْتَرَطْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ لِي دَيْنِي، إِذَا نَجَحَتْ مَعَهُ فِكْرَتِي. تَهَلَّلَ وَجْهُهُ، وَرَاجَعَهُ أُنْسُهُ، وَقَالَ، وَهُوَ يَهْرُ كَتْفِي بِدَيْتِهِ: قَسَمًا، لَوْ نَجَحَتْ فِكْرَتُكَ، لَرَدَدْتُ عَلَيْكَ ضِعْفَ دَيْنِكَ عَلَيَّ!»

(٥) إِقْتِرَاحُ خَبِيثٍ

قُلْتُ: «مَا فِكْرَتُكَ الَّتِي أَرَدْتَ بِهَا أَكْلَ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ؟»  
 تَجَهَّمُ وَجْهَهُ «أَبِي عَامِرٍ»، وَقَالَ: «أَنَا أَقْصُ عَلَيْكَ، وَالرَّأْيُ لَكَ. جَعَلْتُ أَشْرَحُ لِرَأْسِ  
 الْوَزَّةِ» بِالتَّفْصِيلِ: مَا هُوَ صَانِعٌ؟ قُلْتُ لَهُ: «مَا يُصْبِحُ الصَّبَاحُ، حَتَّى تَرْتَدِيَ أَثْمَنَ  
 ثِيَابِكَ. عَلَيْكَ أَنْ تَفْتَحَ بَابَ دَارِكَ، وَتُهَيِّئَ الْمَجْلِسَ لِاسْتِقْبَالِ زُورِكَ. خُذْ مَكَانَكَ فِي صَدْرِ  
 مَجْلِسِكَ، مُتَّكِنًا عَلَى أَرِيكَةٍ خَاصَّةٍ بِكَ. تَكْلَفِ الْوَقَارَ فِيمَا يَبْدُو عَلَيْكَ، وَالْجِدَّ فِيمَا يَظْهَرُ  
 مِنْكَ. إِذَا قَدِمَ أَحَدُ النَّاسِ، فَلَا تَعَبَّأْ بِهِ، وَلَا تُلُقْ بِالْأَلِيِّهِ. إِذَا حَيَّاكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِتَحِيَّةٍ،  
 فَيَاكَ أَنْ تُجِيبَ بِغَيْرِ النَّبَاحِ. إِذَا أَظْهَرَ لَكَ الْقَادِمُ دَهْشَتَهُ، فَكَرِّرْ نُبَاحَكَ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً.  
 إِذَا تَمَادَى لَكَ فِي الْإِلْحَاحِ، تَمَادَيْتَ لَهُ فِي الصَّبَاحِ. إِتَّخِذْ هَذَا النَّبَاحَ — مُنْذُ الْغَدِ —  
 شِعَارًا لَكَ، وَعَلَامَةً عَلَيْكَ. لِيَكُنْ عَمَلُكَ — مُنْذُ الْآنَ إِلَى الْغَدِ — التَّفَرُّغَ لِتَدْرِيبِ صَوْتِكَ.  
 حَاولْ، مَا اسْتَطَعْتَ سَبِيلًا، أَنْ تُقَلِّدَ نَبْرَاتِ مَنْ يَنْبُحُ. قُلْ: «هُوَ. هُو.» — يَا «أَبَا إِسْحَقَ»  
 — وَلَا تَتْرِكِ الْعَوَاءَ. أَجِبْ بِهَذَا النَّبَاحِ كُلَّ قَادِمٍ عَلَيْكَ، دَائِنٍ أَوْ غَيْرِ دَائِنٍ.»



## (٦) التَّمَادِي فِي النَّبَاحِ

قُلْتُ لَهُ: «أَيُّظَلُّ «رَأْسُ الْوَرَّةِ» نَابِحًا مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟!»  
 قَالَ «أَبُو عَامِرٍ»: «شَرَطْتُ عَلَيْهِ أَلَّا يَرْتَفِعَ بِغَيْرِ النَّبَاحِ صَوْتُهُ: يَنْبُحُ مَنْ يُلَاقِيهِ، مَنْ  
 أَخْلَصَ عَارِفِيهِ، وَأُصْدَقَ مُحِبِّيهِ، وَكُلُّ دَائِنِيهِ. قُلْتُ لَهُ: «لَنْ يَلْبَثَ الدَّائِنُونَ أَنْ يَضْجَرُوا  
 بِكَ، وَيِيَّاسُوا مِنْكَ. سَيَرْفَعُونَ شَكْوَاهُمْ — فِي آخِرِ الْأَمْرِ — إِلَى وَالِي الْمَدِينَةِ. لَا تَتَحَلَّ  
 — بِحَالٍ — عَمَّا رَسَمْتَهُ لَكَ، وَشَرَطْتَهُ عَلَيْكَ. إِذَا مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَلَيْكَ الْإِعْتِصَامُ  
 بِالصَّمْتِ، بَادِيَّ بَدءٍ. حَذَارِ — يَا «رَأْسُ الْوَرَّةِ» — أَنْ يَلْفِظَ لِسَانُكَ أَمَامَهُ مِنْ قَوْلٍ. إِذَا  
 أَنْتَ بَدَأْتَ الْوَالِيَّ بِسُؤَالِكَ، فَلَا تَرُدَّ عَلَيْهِ بِجَوَابِكَ. سَيَرْتَابُ فِكْرُهُ فِي حَقِيقَةِ شَأْنِكَ: أَمَعَانِدُ  
 أَنْتَ، أَمْ أَحْرَسُ؟ إِذَا أُسْتَمَرَّ فِي سُؤَالِكَ، أَطْلَقْتَ لَهُ نُبَاحَكَ، وَتَمَادَيْتَ فِيهِ. إِصْرَارُكَ عَلَى

## مُعَلِّمُ النَّبَاحِ

النُّبَاحِ سَيِّدُ الْوَالِي عَلَى أَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مُتَّصِعٍ. سَيَكْفُ عَنْ جَوَارِكِ، وَسَيَقْتَنِعُ بِأَنَّكَ قَدْ  
أَصَابَكَ الْجُنُونُ. سَيَضْطَرُّهُ ذَلِكَ إِلَى إِعْفَائِكَ مِنْ دَيْنِكَ، وَإِطْلَاقِ سَرَاكِ.»

## الفصل الثاني

# الْخُطَّةُ وَالْجَزَاءُ

### (١) تَأْكِيدُ الْوَعْدِ

عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، أَمَسَكَ «أَبُو عَامِرٍ» عَنِ مُوَاصَلَةِ الْحَدِيثِ.

قُلْتُ لَهُ: «مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ، مِنْ أَمْرِ «أَبِي إِسْحَقَ»؟»

قَالَ «أَبُو عَامِرٍ»: «لَقَدْ وَعَى النَّصِيحَةَ، وَأَحْسَنَ فَهَمَّ الْإِقْتِرَاحِ. لَمَّا فَرَعْتُ مِنْ عَرَضِ مَا اقْتَرَحْتُهُ عَلَيْهِ، أَجَزَلْتُ شُكْرَهُ لِي. فَعَلَّ ذَلِكَ، جَزَاءً إِنْجَائِهِ مِنْ وَرَطَّتِهِ، وَخَلَاصِهِ مِنْ كُرْبَتِهِ. كَرَّرَ تَأْكِيدَهُ أَنَّهُ سَيَنْجِزُ وَعْدَهُ بِإِدَاءِ مَا تَوَافَقْنَا عَلَيْهِ. مَا جَاءَ الْغَدُ، حَتَّى أَنْفَذَ «أَبُو إِسْحَقَ» الْخُطَّةَ كَامِلَةً بِحَذَقٍ. هَيَّا الدَّارَ أَجْمَلَ تَهْيِئَةً، لِاسْتِقْبَالِ مَنْ يَقْدَمُونَ لِلزِّيَارَةِ. تَجَلَّى «رَأْسُ الْوَزَّةِ» وَهُوَ فِي أَبِيهِ حُلَّةٌ، وَأَزْوَعُ زِينَةٍ. أَعَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ، قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ لِلْوَافِدِينَ عَلَيْهِ دَارَهُ. أَطْلَقَ مِنْ حَلْقِهِ نَبْحَةً بَعْدَ نَبْحِهِ، تَرَدَّدَ صَدَاهَا حَوْلَهُ. عَجِبَ الْجِيرَانُ لِسَمَاعِهِمْ نُبَاحَ كَلْبٍ مِنْ دَارِ «أَبِي إِسْحَقَ». لَمَّا فُتِحَ بَابُ الدَّارِ، تَوَافَدَ لِلدُّخُولِ فِيهِ مُخْتَلِفُ الزُّوَارِ. كَانَ رَدُّ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» عَلَى تَحِيَّاتِهِمْ، نُبَاحًا بَعْدَ نُبَاحٍ.»

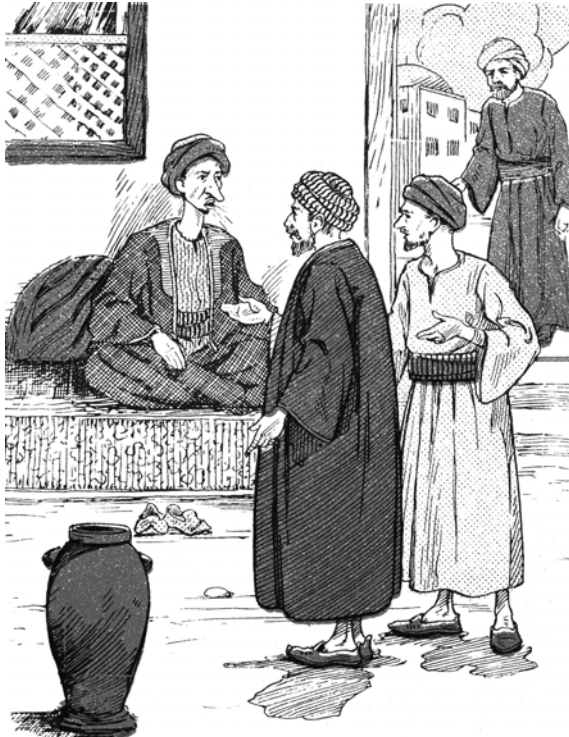
### (٢) مُحَاوَلَاتُ الدَّائِنِينَ

سَمِعَ الدَّائِنُونَ بِأَنَّ «رَأْسَ الْوَزَّةِ» قَدْ ظَهَرَ بَعْدَ الْإِحْتِفَاءِ. اسْتَبَشَرُوا بِظُهُورِهِ، وَتَوَقَّعُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَى مُبْتَغَاهُمْ مِنْهُ. فَسَرُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُ دَبَّرَ أَمْرَهُ، وَجَمَعَ مِنَ الْمَالِ مَا عَلَيْهِ.

## مُعَلِّمُ النَّبَاحِ

حَتَّ كُلُّ مَنْهُمْ إِلَيْهِ خُطَاهُ، عَسَى أَنْ يُحَقِّقَ لَدَيْهِ مُنَاهُ. لَمْ يَنْبَسِرْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَطْفَرَفَرَ - فِي لِقَائِهِ لَهُ - بِجَدْوَى. كَانَ «أَبُو إِسْحَاقَ» لَا يَسْتَقْبِلُ أَحَدَهُمْ بِغَيْرِ نُبَاحِهِ الْمَوْصُولِ.

اِخْتَلَفَ الدَّائِنُونَ - فِيمَا بَيْنَهُمْ - فِي مُوَاجَهَةِ ذَلِكَ النَّبَاحِ الْعَجِيبِ. بَعْضُهُمْ كَانَ يَضِيقُ بِالْعَوَاءِ دَرْعًا، فَيُوسِعُ صَاحِبَهُ تَأْنِيبًا وَتَعْنِيفًا. مِنْهُمْ مَنْ حَرَصَ عَلَى أَنْ يُلِينَ لَهُ جَانِبَهُ، عَسَى أَنْ يَسْتَمِيلَهُ. تَسَاوَى عِنْدَهُ مَنْ أَسْرَفَ فِي تَعْنِيفِهِ، وَمَنْ تَلَطَّفَ بِهِ. لَمْ يَرْجِعْ عَنْ مَسْلِكِهِ تَصَدِيقًا لَوْعَدٍ، أَوْ خَوْفًا مِنْ وَعِيدٍ. تَنَازَعَ الدَّائِنُونَ فِي شَأْنِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»، وَمَا بَدَأَ مِنْهُ. بَيْنَ الدَّائِنِينَ مَنْ أَسْتَيْقَنَ أَنَّهُ مُتَكَلِّفٌ مُتَصَنِّعٌ خَدَّاعٌ. قَلَّةٌ مِنْهُمْ تَوَهَّمَتْ أَنَّ الرَّجُلَ أَصَابَتْهُ عِلَّةٌ مَسَحَتْ صَوْتَهُ. خُلَاصَةُ الْأَمْرِ أَنَّ جَمَاعَةَ الدَّائِنِينَ بَاءُوا بِالْحَيَبَةِ وَالْإِخْفَاقِ. لَمْ تُجِدْ فِي رَدِّ أَمْوَالِهِمْ حِيلَةً، وَلَمْ تُفِدْ مِنْهُمْ وَسِيلَةً.



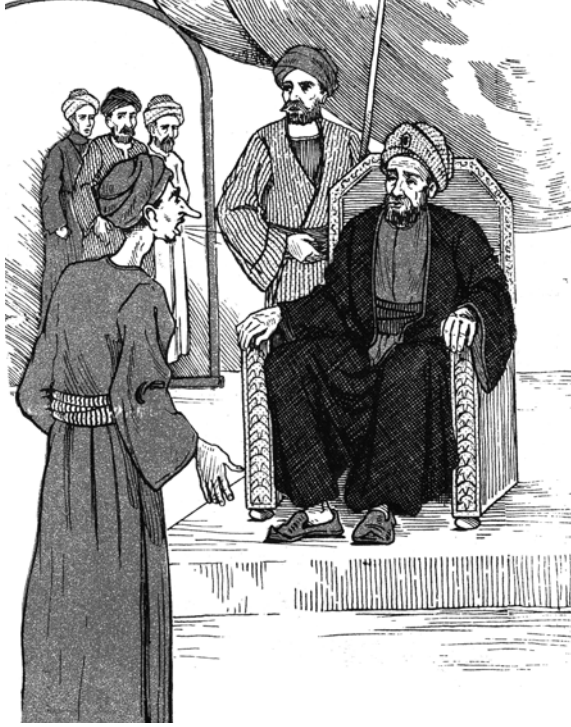
(٣) بَيْنَ يَدَيِ الْوَالِي

قُلْتُ لَهُ: «لَا بُدَّ أَنْ قِصَّةَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» لَمْ تَنْتَهَ». قال «أَبُو عَامِرٍ»: «كَيْفَ تَنْتَهِي، وَهُنَاكَ دَائِنُونَ، بِحَقِّهِمْ يُطَالِبُونَ؟ أَنْتَ تُوْمِنُ بِالْحِكْمَةِ الْقَائِلَةِ: «لَا يَضِيعُ حَقٌّ وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ». لِيَتَّسِعَ صَدْرُكَ لِمَا أَنَا قَاصُّهُ عَلَيْكَ، أَسْتِكْمَالًا لِحَدِيثِي مَعَكَ. الدَّائِنُونَ عَجِبُوا مِنْ مَسْخِ صَوْتِ إِنْسَانٍ، لِيَصِيرَ صَوْتُ كُلِّبٍ. تَحَسَّرُوا عَلَى مَا فَقَدُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عِنْدَ الرَّجُلِ الْمَمْسُوحِ. أَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ — أَحْيَرًا — أَنْ يَرْفَعُوا الْأَمْرَ إِلَى وَالِي الْمَدِينَةِ. قَدَّرُوا أَنَّهُ مُسْتَطِيعٌ، بِمَكَانَتِهِ، أَنْ يَصُونَ مَا لَهُمْ مِنْ حُقُوقٍ. وَقَفَّ وَكَيْلُ الدَّائِنِينَ أَمَامَ الْوَالِي، يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَحْدَاثَ الْقِصَّةِ. إِشْتَدَّ أَرْتِيَابُهُ فِيمَا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ شَأْنِ الْإِنْسَانِ النَّبَاحِ.

أَقْسَمَ الْوَكِيلُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَمَا كَانَ لِيَكْذِبَ عَلَى الْوَالِي. طَلَبَ الْوَالِي مِنْ أَعْوَانِهِ، أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ «رَأْسَ الْوَزَّةِ». قَدَّمُوهُ إِلَيْهِ، فَرَأَهُ إِنْسَانًا سَوِيًّا فِي شَكْلِهِ، وَمَلَامِحِهِ، وَزِيِّهِ. سَأَلَهُ: «أَخْبَرْنِي مَاذَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَرُدَّ أَمْوَالَ الدَّائِنِينَ؟»

صَمَتَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ»، فَزَجَرَهُ الْوَالِي، قَائِلًا: «هَلْ أَصَابَكَ الْخَرَسُ؟» كَانَتْ إِجَابَةُ الرَّجُلِ عَنْ ذَلِكَ، أَنَّهُ أَطْلَقَ مِنْ حَلْقِهِ النَّبَاحَ.





#### (٤) عَاقِبَةُ النُّبَّاحِ

صَجِرَ الْوَالِي، أَشَدَّ الضَّجِرِ، مِنْ تَصَرُّفِ، «رَأْسِ الْوِزَّةِ» مَعَهُ. قَالَ لَهُ: «غَابَ عَنْكَ أَنَّكَ فِي حَضْرَةِ وَالٍ لَهُ مَهَابَتُهُ. كَيْفَ سَوَّلْتَ لَكَ نَفْسَكَ أَنْ تَتَّخِذَ أَمَامِي هَذِهِ الْأَعْيِبَ؟ إِنَّكَ تَخْدَعُ مَنْ أَقْرَضُوكَ أَمْوَالَهُمْ، بِاصْطِنَاعِ نُبَّاحِ الْمُنْكَرِ. كَيْفَ سَاعَ لَكَ فِعْلُ ذَلِكَ فِي مَجْلِسِي، دُونَ حَيَاءٍ؟! أَتَجْهَلُ أَنِّي فِي مُسْتَطَاعِي أَنْ أَعَاقِبَكَ، وَأَنْ أُنْكَلَ بِكَ؟»

أَصَرَ «رَأْسُ الْوِزَّةِ» عَلَى أَنْ يَكُونَ جَوَابُهُ: النُّبَّاحِ، لَا غَيْرُ. أَدْهَشَ الْوَالِيَّ أَنَّ ذَلِكَ النُّبَّاحَ كَأَنَّهُ صَوْتُ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ! عَبَّرَ الْوَالِي عَنْ نَوْرَتِهِ وَعَظْبِهِ بِمُخْتَلِفِ أَلْوَانِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ. أَمْضَى وَقْتًا طَوِيلًا، يُحَاوِلُ أَنْ يَدْفَعَ «رَأْسَ الْوِزَّةِ» إِلَى الْكَلَامِ. اسْتَعْمَلَ الْحِيَلِ

## الْخُطَّةُ وَالْجَزَاءُ

الْمُتَعَدِّدَةَ مَعَهُ، لِيَكْشِفَ مَا يَصْطَنِعُهُ مِنَ الْخِدَاعِ: تَارَةً يَقْسُو عَلَيْهِ، وَيُدَكِّرُهُ بِمَا سَوَّفَ يُلْحِقُهُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ. حِينَ لَا يُجِدِي ذَلِكَ، يَتَّخِذُ أُسْلُوبَ الْمَلَائِنَةِ وَالْمَلَأِطَفَةِ وَالتَّرْغِيبِ. مِمَّا لَجَأَ إِلَيْهِ: وَعْدُهُ بِأَنْ يَكُونَ عَوْنًا لَهُ عَلَى آدَاءِ دُيُونِهِ. لَمَّا أَخْفَقَتْ حِيلَةُ الْوَالِي مَعَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» أَمَرَ بِحَبْسِهِ. وَكَلَّ بِهِ حَارِسًا يَنْقِصِي خَبْرَهُ، لِيَنْبَيِّنَ أَمْرَهُ، وَيَعْرِفَ سِرَّهُ.



## (٥) إِطْلَاقُ السَّرَاحِ

دَخَلَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» السِّجْنَ، وَلَمْ تَبْدُ عَلَيْهِ أَيَّةُ مُبَالَاةٍ. ظَهَرَ عَلَيْهِ الْإِزْتِيَاخُ إِلَى خَلَاصِهِ مِنْ أَنْ يُطَارِدَهُ دَائِنُوهُ. لَمْ يَقْصُرْ حَارِسُهُ فِي التَّضْيِيقِ عَلَيْهِ، وَمُلَاحَظَةِ حَرَكَاتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.

كَانَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» أَدْنَى مِنْ أَنْ تَفُوتَهُ تِلْكَ الرَّقَابَةُ عَلَيْهِ. تَعَمَّدَ أَنْ يَفْسِمَ وَقْتَهُ بَيْنَ النَّبَاحِ الْعَالِي، وَالْهَرِيرِ الْخَافِتِ. كَانَ كَأَنَّهَا هُوَ فِي نُبَاحِهِ يَسْتَعِيبُ، وَفِي هَرِيرِهِ يَتَوَجَّعُ. نَقَلَ الْحَارِسُ إِلَى الْوَالِي حَالَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»، كَمَا عَهَدَهَا مِنْهُ. شَهِدَ الْحَارِسُ بِأَنَّ الرَّجُلَ الْحَبِيسَ لَا يَنْطَوِي أَمْرُهُ عَلَى خِدَاعٍ.

قَالَ الْوَالِي فِي نَفْسِهِ: «حَبَسُ الرَّجُلُ — إِذَنْ — ظَلَمَ مُبِينٌ». اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ، وَتَرَفَّقَ بِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ سِيْخِلِي سَبِيلَهُ. لَمْ يَفْتَصِرْ عَلَى إِطْلَاقِ سَرَاخِهِ، بَلْ أَرْضَدَ الْعُيُونَ لِمُرَاقَبَتِهِ. كَمَنَّ الرَّقَبَاءُ حَوْلَ دَارِهِ، وَتَبِعُوا ظِلَّهُ فِي غَدَايَتِهِ وَرَوْحَاتِهِ. لَمْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ أَيْ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُنْصَنَعٌ كَذُوبٌ. رَتَى الْوَالِي لِحَالِهِ، وَأَيَقَنَ أَنَّهُ مَخْبُلٌ، أَصَابَهُ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ.

## (٦) إِسْقَاطُ الدُّيُونِ

قُلْتُ لِـ«أَبِي عَامِرٍ»: «لَا بَدَّ أَنْ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» اسْتَرَاحَ رَأْسَهُ!»  
 أَجَابَ بِقَوْلِهِ: «كَيْفَ يَسْتَرِيحُ لَهُ رَأْسٌ، وَالِدَائِنُونَ حَوَالِيهِ؟»  
 قُلْتُ لَهُ: «وَمَاذَا فِي وُسْعِهِمْ أَنْ يَصْنَعُوهُ، بَعْدَمَا كَانَ؟»  
 قَالَ لِي: «انْطَلَقَ عَدَدٌ مِنْهُمْ إِلَى الْوَالِي، يُعَاوِدُ الشُّكْوَى.»  
 قُلْتُ: «لَسْتُ أَدْرِي، مَاذَا فِي مَقْدُورِ الْوَالِي أَنْ يَفْعَلَ؟»  
 قَالَ: «صَرَّحَ لِلشَّاكِينَ بِأَنَّهُ مُفْتَنِعٌ بِبَرَاءَةِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ». قَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ لِلرَّجُلِ يَدٌ فِيمَا نَابَهُ، فَبِأَيِّ ذَنْبٍ نُعَاقِبُهُ؟» أَصْدَرَ الْوَالِي أَحْيَرًا حُكْمَهُ الْقَاطِعَ بِإِسْقَاطِ دُيُونِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ». تَسَامَعَ الدَّائِنُونَ بِهَذَا الْحُكْمِ، فَاْمْتَلَأَتْ نَفُوسُهُمْ أَسْفًا وَحَسْرَةً. عَلِمَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» بِذَلِكَ، وَاطْمَأَنَّ نَفْسُهُ إِلَى يَأْسِ دَائِنِيهِ. أَحَدٌ يَعْدُو فِي الطَّرِيقِ وَيَرُوحُ، يَأْمَنُ تَعَقُّبَهُمْ لَهُ، وَثَوْرَتُهُمْ عَلَيْهِ. بَعْضُ الدَّائِنِينَ لَمْ يَكْفُوا عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، كَلَّمَا رَأَوْهُ، بِارْتِيَابٍ. هُنَاكَ دَائِنُونَ صَدَّقُوا أَنَّهُ مُصَابٌ بِالْحَبَالِ، وَأَنَّهُ جَدِيرٌ بِالرِّثَاءِ. هَكَذَا انْتَهَتْ الْخُصُومَةُ بَيْنَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» وَدَائِنِيهِ، كَمَا شَاءَ!»

(٧) إِنْكَارُ الْجَمِيلِ

قُلْتُ لِـ«أَبِي عَامِرٍ»: «تَمَّتْ قِصَّةُ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» وَدَائِنِيهِ، كَمَا رَسَمْتَ. مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ أَبْتَدَأْتَ الْآنَ الْقِصَّةَ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. الْحَقُّ أَنَّ الْقِصَّتَيْنِ هُمَا قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ، لَهَا طَرَفَانِ أَثْنَانِ. حَبَّرْنِي: مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْقِصَّةِ؟»

أَمْسَكَ «أَبُو عَامِرٍ» عَنِ مُوَاصَلَةِ الْكَلَامِ، وَهُوَ مُطَّرِقٌ بِرَأْسِهِ. ظَلَّ وَاجِمًا، وَقَدْ بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِ أَمَارَاتُ الْحُسْرَةِ وَالْإِنْقِبَاضِ. رَفَعَ أَحْيَرًا رَأْسَهُ، كَأَنَّمَا أَفَاقَ مِنْ إِغْفَاءَةٍ مَلَكَتْ عَيْنَيْهِ.

قَالَ لِي: «لَا بُدَّ أَنَّكَ تَعْنِي بِالطَّرَفِ الْآخَرِ: رَدَّ الْجَمِيلِ. أَلَسْتَ تَسْأَلْنِي: هَلْ رَدَّ لِي دَيْنِي مُضَاعَفًا، كَمَا وَعَدَ؟ لَقَدْ تَخَلَّصَ، بِفِكْرَتِي الَّتِي أَمْلَيْتُهَا عَلَيْهِ، مِمَّا كَانَ يَحِقُّ بِهِ. لَمْ يَعْذُ دَيْنُهُ هَمًّا لَهُ فِي لَيْلِهِ، أَوْ ذُلًّا فِي نَهَارِهِ. يُوسِفُنِي إِحْبَابُكَ بِمَا أَظُنُّهُ لَا يَخْطُرُ لَكَ، أَوْ لِعَبْرِكَ، بِبَالٍ.»

قُلْتُ لَهُ عِنْدَيْدٍ: «سَأَقْاطِعُكَ، لِأُخْبِرَكَ أَنَا بِكُلِّ مَا جَرَى. لَا رَيْبَ أَنَّ تَلْمِيذَكَ النَّجِيبَ وَعَى فِكْرَتِكَ، وَأَنْفَذَ خُطَّتَكَ. لَمْ يَجِدْ قَيْدَ أَنْمَلَةٍ عَمَّا رَسَمْتَهُ، لِإِغْتِيَالِ أَمْوَالِ دَائِنِيهِ. أَنْفَذَهَا نَابِحًا فِي وَجْهِكَ، كَنَبَاحِهِ مَعَ مُطَالِبِيهِ، أَوْ مَعَ وَالِيهِ.»



(٨) يَأْسُ «أَبِي عَامِرٍ»

قَالَ «أَبُو عَامِرٍ» مُتَعَجِّبًا: «مَا أَبْرَعَ نِكَاعَكَ، وَالْمَعَ فِطْنَتَكَ؟! لَمْ تَعُدْ الصَّوَابَ فِيمَا قُلْتَ، كَأَنَّكَ كُنْتَ مَعَنَا: رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ! قَصَدْتُ دَارَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»، بَعْدَ أَنْجِلَاءِ غُمَّتِهِ، وَأَنْقِضَاءِ مَحْنَتِهِ. قُلْتُ فِي نَفْسِي: سَأَلِقَاهُ، بَعْدَ أَنْ هَدَأَ بَالَهُ، وَصَلَحَتْ حَالُهُ. عَزَمْتُ — فِي لِقَائِي لَهُ — أَنْ أذْكَرُهُ عَهْدَهُ، وَأَسْتَنْجِرَهُ وَعَدَهُ. لَمْ يُخَالِجْنِي أَى شَكٍّ فِي أَنِّي مُلَاقٍ مِنْهُ مَا أَحْمَدُهُ لَهُ. مَا فَتَحْتُ فَمِي بِالسَّلَامِ، حَتَّى أَجَابَنِي بِالْعَوَاءِ بَدَلَ الْكَلَامِ. دَهَشْتُ أَشَدَّ الدَّهْشِ مِنْ غَرِيبِ جُرْأَتِهِ، وَإِعْرَاقِهِ فِي صَفَاقَتِهِ. مَا حَظَرَ لِي قَطُّ بِبَالٍ، أَنْ يَلْقَانِي وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. قُلْتُ لَهُ مُؤَنِّبًا: «لَكَ أَنْ تَصْطَنِعَ ذَلِكَ مَعَ أَيِّ صَاحِبٍ. أَمَّا أَنْ تُمَثِّلَهُ مَعِي، فَذَلِكَ:

## الْخُطَّةُ وَالْجَزَاءُ

الْعَجَبُ الْعَاجِبُ، وَالرَّأْيُ الْخَائِبُ. دَعُ — أَيُّهَا الْأَحْمَقُ — ذَلِكَ النُّبَّاحُ، وَكَلَّمَنِي كَمَا أَكَلَّمَكَ بِإِفْصَاحٍ. «كَانَ يُشِيحُ بِوَجْهِهِ عَنِّي، كَيْ لَا تَقَعَ عَلَيَّ عَيْنُهُ عَيْنِي. كُلَّمَا كَرَّرْتُ لَهُ — فِي غَضَبٍ — قَوْلِي، تَمَادَى فِي نُبَاحِهِ حَوْلِي. لَمْ يَنْتَهِ الْمَوْقِفُ، بَيْنَهُ وَبَيْنِي، إِلَى نَتِيجَةٍ تَبَعْتُ عَلَى الْإِطْمِئْنَانِ. غَادَرْتُ دَارَهُ حَيْرَانَ، لَا أَدْرِي: كَيْفَ أَتَصَرَّفُ فِي أَمْرِي الْآنَ؟»





## الفصل الثالث

# أَخْلَاقُ النَّاسِ

### (١) خَصْلَةُ الْعَدْرِ

لَاذَ «أَبُو عَامِرٍ» بِالصَّمْتِ حِينًا، كَأَنَّمَا يُفَكِّرُ فِيمَا هُوَ صَانِعٌ. مَا شَهِدْتُهُ عَلَى أَسَارِيرِهِ يُوجِي بِأَنَّ مَرَارَتَهُ تَكَادُ تَنْشَقُّ غَيْطًا. عَبَّرَ ذَلِكَ عَنِ شُعُورِهِ بِوَبَالٍ تَصْرُفِهِ، وَأَنَّهُ يَكْتَوِي بِحَرِّ نَارِهِ.

قُلْتُ لَهُ: «حَلَّ عَنكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ عَذَابِ النَّفْكَيرِ. لَنْ تَنْجُوَ مِنْ إِحْسَاسِكَ بِالْهَمِّ، إِلَّا بِأَنْ تَنْسَى مَا كَانَ. مَا فَقَدْتَهُ مِنَ الْمَالِ قَدْرٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهِ، وَلَكِنْ: مَا الْعَمَلُ؟ لَنْ يُعَوِّضَكَ طَوْلُ التَّفْكِيرِ الْمَرِيرِ، عَمَّا أَصَابَكَ مِنَ الْخُسْرَانِ.»

قَالَ لِي: «أَكَانَ يُنْتَظَرُ مِنْ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» هَذَا السُّلُوكُ؟! أَيْكُونُ مِنْهُ خُلُقُ الْعَدْرِ بِي، بَعْدَ كُلِّ مَا أَسَدَيْتُهُ لَهُ؟ أَهَذِهِ خَصْلَةٌ يَجُوزُ لِأَمْرِي عَاقِلٌ كَرِيمٌ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا؟»

قُلْتُ لَهُ: «لَمْ يَكُنْ مِنْهُ عَجَبًا سَلْبُ الْحُقُوقِ، وَلَوْمُ الْعُقُوقِ. إِعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَكَ «رَأْسَ الْوَزَّةِ» يَتَّصِفُ بِأَخْلَاقِ بَعْضِ النَّاسِ. الْعَدْرُ خَصْلَةٌ سَيِّئَةٌ ذَمِيمَةٌ، وَلَكِنَّهَا فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ قَدِيمَةٌ. الْعَدْرُ لَوْنٌ مِنَ أَلْوَانِ الشَّرِّ، وَلَيْسَ الشَّرُّ فِي الدُّنْيَا بِسَرٍّ.»

### (٢) أَنْتَ الْمَلُومُ

سَمِعَ «أَبُو عَامِرٍ» مَا أَفْضَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ تَوْضِيحٍ وَتَفْسِيرٍ. جَعَلَ يَهْرُؤُ كَنَفِيهِ، وَيَعْضُ عَلَى شَفْتَيْهِ، كَأَنَّهُ يَسْتَوْعِبُ مَا قُلْتُ. بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ، وَجَدْتُهُ يُحَدِّقُ بِعَيْنَيْهِ فِي وَجْهِ بِشَدَّةٍ.



قَالَ يَسْأَلُنِي: «كَيْفَ اسْتَبَانَتَ لَكَ خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ، يَا «أَبَا الْعُصْنِ»؟ لَقَدْ أَوْضَحْتَ لِي تَفْصِيلَهَا، قَبْلَ أَنْ أَتَفَوَّهَ بِشَيْءٍ مِنْهَا!»  
 قُلْتُ لَهُ: «الْمَقْدِمَاتُ تَدُلُّ مَنْ يُعْمَلُ عَقْلُهُ عَلَى النَّتَائِجِ. السُّلُوكُ الَّذِي اتَّخَذَهُ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» مَعَ دَائِنِيهِ، صَارَ طَبِيعَةً فِيهِ. هَذَا التَّصَرُّفُ الْمُنْكَرُ الْعَجِيبُ، لَكَ مِنْهُ — يَا أُخِي — نَصِيبٌ. كَيْفَ تَعْجَبُ مِنْهُ فِيمَا صَنَعَ، وَأَنْتَ أَجْدَرُ مِنْهُ بِالْعَجَبِ؟ لَيْسَ عَلَيَّ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» أَيُّ ذَنْبٍ، فَلَا يَكُنْ مِنْكَ عَتَبٌ. مَاذَا يَرِيْبُكَ فِيمَا جَرَى مِنْ إِخْلَافِهِ لِوَعْدِهِ لَكَ، وَعَهْدِهِ مَعَكَ؟ أَلَمْ تَشُقْ لَهُ طَرِيقَ غَوَايَةِ، وَهَدَيْتَهُ إِلَيْهِ شَرَّ هِدَايَةٍ؟ بِحَقِّكَ: مَاذَا تُنْكَرُ أَنْتَ مِنْ عَمَلِهِ؟ وَمَا وَجْهَ شَكْوَاكَ مِنْهُ؟ لَوْ تَدَبَّرْتَ أَمْرَكَ فِي تَعَقُّلٍ، لَمَا غَضِبْتَ عَلَيْهِ فِيمَا يَعْْمَلُ.»

### (٣) عَاقِبَةُ السُّوءِ

كَانَ هَذَا مُجْمَلٌ حَدِيثِي مَعَ «أَبِي عَامِرٍ»، لِأَهْوَنَ عَلَيْهِ مَا بِهِ. رَأَيْتُ أَنْ أَتَابِعَ الْحَدِيثَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، لِكَيْ أُقْنِعَهُ.  
 قُلْتُ: «صَارِحِنِي، يَا «أَبَا عَامِرٍ»: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِنْكَارَ مَسْئُولِيَّتِكَ؟ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكَ تَعْلِيمٌ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» مَا حَفِظَهُ وَوَعَاه؟ أَلَمْ يَتَلَقَّنِ الدَّرْسَ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ كَيْفَ يَحْتَالُ وَيَعْتَالُ؟ لَمْ يَزِدْ — فِيمَا أَلْتَزَمَ — عَلَيَّ أَنْ وَثِقَ بِكَ، وَأَنْ أَطَاعَكَ. لَقَدْ حَسَنْتَ لَهُ أَنْ يَخْدَعَ النَّاسَ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ. حَسْبُكَ مِنْهُ صِدْقُ أَمَانَتِهِ فِي تَطْبِيقِ الْمُنْهَجِ، وَاتِّبَاعِ الْقِيَاسِ. كَيْفَ تُرِيدُهُ إِذْنًا عَلَيَّ أَنْ تَنْفِرَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِوَفَائِهِ؟! أَلَيْسَ مَا وَعَدَكَ بِهِ، وَعَاهَدَكَ عَلَيْهِ، حَقًّا كَسَائِرِ الْحُقُوقِ؟ لِمَاذَا يَخْصُ حَقِّكَ وَحَدَّكَ بِالْوَفَاءِ، وَحَقَّ سَائِرِ النَّاسِ بِالْعُقُوقِ؟! مَا أَجْدَرَكَ — يَا صَاحِبِي — بِأَنْ تَشْكُرَ صَاحِبَكَ، بَدَلًا مِنْ مَلَامَتِهِ. أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ يُقَدِّمُ عَلَى الْغَدْرِ وَالْإِحْتِيَالِ، وَاغْتِيَالِ الْأَمْوَالِ. لَوْ أَنَّكَ زَيْنْتَ لَهُ الْوَفَاءَ، لَكَانَ لَكَ مِنْهُ أَحْسَنُ الْجَزَاءِ.»

### (٤) الذُّبُّ وَالْعَنَمُ

أَحْسَّ «أَبُو عَامِرٍ» بِأَنَّهُ شَرِيكُ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» فِي سُوءِ عَمَلِهِ.

قُلْتُ لَهُ: «بَقِيَ أَنْ تَصْدُقَنِي الْقَوْلَ فِيمَا أَعْرَضُهُ عَلَيْكَ. أَكُنْتَ تَشْكُو عَدْرَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» بِالنَّاسِ، لَوْ لَمْ يُعْذِرْ بِكَ؟ أَكُنْتَ تَنْقَمُ مِنْهُ لَوْ أَدَّى دَيْنَكَ وَحَدَكَ، وَاغْتَالَ دُيُونَ غَيْرِكَ؟ هَبْكَ سَمِعْتَ أَنَّ رَجُلًا هَدَى إِلَى الْعَنَمِ أَحَدَ الذَّنَابِ. هَذَا الرَّجُلُ أَخَذَ عَلَى الذَّنْبِ عَهْدًا أَلَّا يَنَالَ عَنَمَهُ بِمَكْرُوهِهِ. أَتَرَى الذَّنْبَ كَانَ يُعْفَى عَنَمَ الرَّجُلِ مِنَ الْعُدْوَانِ عَلَيْهَا؟ قِصَّةُ عَهْدِ الذَّنْبِ وَالرَّجُلِ، هِيَ قِصَّةُ عَهْدِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» مَعَكَ. حَقِّقِ النَّظَرَ فِي مِرَاتِكَ: عَلِمْتَ «رَأْسَ الْوَزَّةِ» الْغَوَايَةَ، فَعَوَى. رَزَيْتَ لَهُ حِيلَةَ الْعَوَاءِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ اِحْتَالَ بِهَا، وَعَوَى. اسْتَبَاحَ مِنَ الْحُقُوقِ مَا لَا يُسْتَبَاحُ، بِمَا أَتَقَنَ مِنَ النَّبَاحِ. لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ مَنْ نَبَحَ، فَكَسَبَ — بِفَضْلِ نُبَاحِهِ — وَرَبِحَ! كَمْ مِنَ النَّاسِ بَلَّغُوا الْمَجْدَ بِبَاطِلِ الْأَفَاوِيلِ، وَكَاذِبِ الْأَضَالِيلِ! اِحْتَالُوا بِذَلِكَ لِيُصْبِحُوا كَأَنَّهُمْ أَعَزَّةٌ، كَمَا فَعَلَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ»!»

### (٥) الْجَزَاءُ الْعَادِلُ

إِزْدَادٌ إِحْسَاسِيٌّ بِأَفْتِنَاعِ «أَبِي عَامِرٍ»، وَهُوَ إِلَى قَوْلِي مُنْصِتٌ. رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْحَدِيثِ، لِيَقْوَى أَطْمِئِنَانُهُ.

قُلْتُ لَهُ: «أَنْتَ جَدِيرٌ بِارْتِضَاءِ مَا نَالَكَ مِنْ عَدْلِ الْجَزَاءِ. مَا ظَلَمَكَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ»، وَلَا غَيْرَ. مَا حَقَّدَ عَلَيْكَ، وَلَا ضَغْنَ. إِنَّكَ — بِمَشُورَتِكَ الْجَائِرَةِ — لَمْ تَرَ فِي ظَلْمِ غَيْرِكَ مِنْ بَأْسٍ. لَا عَجَبَ إِذَا ظَلَمْتَ نَفْسَكَ، مَعَ مَنْ ظَلَمْتَ مِنَ النَّاسِ. لَا تَجَزَّعْ — يَا «أَبَاعَامِرٍ» — مِنْ سُنَّةِ سَنَنْتَهَا، وَخَطَّةِ نَهَجْتَهَا. لَكَ أَسْوَةٌ فِي شَبِيهِ لَكَ قَدِيمٍ، حَادٍ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ. عَامَلَهُ ابْنُ عَمِّهِ بِمِثْلِ مُعَامَلَتِهِ، وَكَافَأَهُ مِنْ جِنْسٍ مُكَافَأَتِهِ. أَسْرَعَ إِلَى مُجَازَاتِهِ ظُلْمًا بِظُلْمٍ، فَلَمْ يَجْزْ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ. صَرَخَ الرَّجُلُ بَاكِئًا مُعْوَلًا، كَمَا صَرَخَتْ أَنْتَ شَاكِئًا مُوَلَّوًّا. أَرَى مِنَ الْخَيْرِ لِي وَلَكَ، أَنْ أَقْصِ قِصَّتَهُ الْعَجِيبَةَ عَلَيْكَ. سَوْفَ تَتَجَلَّى لَكَ فِي قِصَّةِ هَذَا الشَّبِيهِ، عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ وَتَنْبِيهُ. فِي سَمَاعِكَ لَهَا — إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ — عِزَاءٌ وَتَسْلِيَةٌ وَتَرْفِيَةٌ.»

## (٦) الشَّيْبَةُ الدَّمِيمُ

بَدَا عَلَى «أَبِي عَامِرٍ» تَطَلُّعُهُ إِلَى سَمَاعِ حِكَايَةِ الشَّيْبَةِ. غَرَابُ الْقِصَصِ تَبَعَتْ عَلَى الْإِنْتِبَاهِ، وَتَجَدَّدُ الشُّوقِ إِلَى السَّمَاعِ.

قُلْتُ لَهُ: «كَانَ فِي بَلَدِنَا — هَذَا — سَيِّدٌ عَظِيمُ الشَّانِ. كَانَ يَعْيشُ فِيهِ قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ أَنْتَ، أَوْ أَوْلَادُنَا، بِأَرْزَمَانَ. عُرِفَ بِسَدَادِ الرَّأْيِ وَنَفَازِ الْبَصْرِ، وَرَفَعَةِ الْقَدْرِ وَجَلَالَةِ الْخَطْرِ. أَصْبَحَ لِسْمُوِّ مَكَانَتِهِ، وَسَعَةِ حِيلَتِهِ، إِمَامًا لِحِمَايَتِهِ، وَرَعِيمًا لِعَشِيرَتِهِ. شَدَّ مَا كَانَتْ تَلْجَأُ إِلَيْهِ، وَتَجْعَلُ مَعْوَلَهَا — بَعْدَ اللَّهِ — عَلَيْهِ. تَلَوْدُ بَكَفِهِ إِذَا أَلَمَتْ بِهَا الْحَوَادِثُ، وَدَهَمَتْهَا الْخُطُوبُ وَالْكَوَارِثُ. تَسْتَطِيعُ فَكْرُهُ كُلَّمَا تَعَقَّدَتْ أُمُورُهَا، وَضَاقَتْ بِحَادِثَاتِ الدَّهْرِ صُدُورُهَا. تَتَفَقَّدُهُ عِنْدَ الْبِأَسَاءِ، كَمَا تَتَفَقَّدُ نَحْنُ الْبَدْرَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ. تَهْتَدِي — عَلَى الدَّوَامِ — بِهَدْيِهِ الصَّائِبِ، وَتَسْتَنْبِرُ بِرَأْيِهِ الثَّاقِبِ. مِنْ سُوءِ حَظِّهِ أَنَّهُ حَادَ عَنِ السَّدَادِ، وَتَنَكَّبَ سَبِيلَ الرَّشَادِ. دَفَعَتْهُ الْأُنَانِيَّةُ إِلَى أَنْ يُعَامِلَ أَبْنَ عَمِّهِ مُعَامَلَةً غَادِرَةً. إِرْضَى السَّيِّدُ لِنَفْسِهِ — عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ — خُطَّةً مُلْتَوِيَةً مَآكِرَةً.»

## (٧) السُّنَّةُ السَّيِّئَةُ

قَالَ «أَبُو عَامِرٍ»: «أَيُّبِيحُ لِنَفْسِهِ مَسَلَكَ الْغَدْرِ مَعَ أَبْنِ عَمِّهِ؟!»  
قُلْتُ: إِنْحِرَافُ النَّفْسِ يُسَهِّلُ عَلَيْهَا الْإِسْتِهَانَةَ، وَالتَّقْرِيطَ فِي الْأَمَانَةِ. فِي هَذِهِ الْحَالِ، يَتَسَاوَى عِنْدَهُ الْغَدْرُ بِالْقَرِيبِ، وَغَيْرِ الْقَرِيبِ! كَانَ جَزَاءُ السَّيِّدِ مِنْ أَبْنِ عَمِّهِ، أَنْ كَافَاهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ. قَابَلَ السَّيِّءَ مِنْ غَدْرِهِ وَخِيَانَتِهِ، بِمِثْلِ السَّيِّءِ مِنْ فَعْلَتِهِ. صَرَخَ السَّيِّدُ — عَظِيمُ قَوْمِهِ — كَمَا صَرَخْتَ، وَشَكَا كَمَا شَكَوْتَ. انْطَلَقَ يَسُبُّ خِصْلَةَ الْأُنَانِيَّةِ وَالْأُنَانِيِّينَ، وَيَلْعَنُ خُلُقَ الْغَدْرِ وَالْغَادِرِينَ. أَتَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ جَوَابُ أَبْنِ عَمِّهِ لِذَلِكَ السَّيِّدِ الْعَظِيمِ؟ أَعْرَضَ عَنْهُ فِي اسْتِجْبَابٍ، وَأَغْلَظَ لَهُ الْقَوْلَ فِي أَحْتِقَارٍ. أَنْشَدَهُ هَذَا الشَّعْرَ، يَصِفُ حَالَهُ وَحَالَ جُنُوحِهِ إِلَى الْغَدْرِ:

وَكُنْتُ إِمَامًا لِلْعَشِيرَةِ تَنْتَهَى      إِلَيْكَ، إِذَا ضَاقَتْ بِأَمْرِ صُدُورُهَا.  
فَلَا تَجْرَعَنَّ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا      فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً: مَنْ يَسِيرُهَا!

## (٨) يَقْظَةُ الضَّمِيرِ

اسْتَيْقَظَ ضَمِيرُ «أَبِي عَامِرٍ» بِمَا ضَرَبَتْ لَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْثَالِ. تَجَلَّى لَهُ — عِنْدِيذٍ — طَرِيقُ الصَّوَابِ، فَارْعَوَى عَنْ بَاطِلِهِ وَأَنَابَ. تَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ مَا قَدَّمَ لـ«رَأْسِ الْوَزَّةِ» مِنْ تِلْكَ الْمَشُورَةِ. إِنْفَرَجَتْ أُسَارِيرُهُ وَتَطَلَّقَ مُحَيَّاهُ، وَتَجَلَّتْ أَمَارَاتُ الْبِشْرِ عَلَى سَيْمَاهُ. عِنْدِيذٍ قَالَ لِي «أَبُو عَامِرٍ»: «مَا أَعْدَلَ قَضَاءَكَ، وَأَصَحَّ آرَاءَكَ. شُكْرًا لَكَ عَلَى مَا بَدَلْتَهُ مِنْ رِعَايَةٍ، وَأَسَدَيْتَهُ مِنْ نُصْحٍ وَهَدَايَةٍ. أَنْتَ بَصَّرْتَنِي بِمَا أَصَابَنِي مِنْ عَيْبٍ، وَمَا أَقْتَرَفْتَهُ مِنْ ذَنْبٍ. صَدَقَ الْقَائِلُ: «الْمَرْءُ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ، بَلْ يَرَى عَيْبَ سِوَاهُ»! مَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: «الصَّاحِبُ لِصَاحِبِهِ: نِعَمَ الْمَرْأَةِ! مَا أَجْدَرَكَ بِالثَّنَاءِ وَالتَّكْرِيمِ، لِأَنَّكَ هَدَيْتَنِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ! فَتَحَتَّ عَيْنِي بِحَدِيثِكَ الْبَارِعِ الْعَظِيمِ، عَلَى الْمَسْلُوكِ الصَّائِبِ الْقَوِيمِ. صَبَرْتَ مَعِيَ صَبْرًا جَمِيلًا، لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا صَدِيقٌ حَمِيمٌ.»

سَمِعْتُ هَذَا مِنْهُ، فَانْشَرَحَ مِنِّي الصَّدْرُ، لِمَا عَمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ. ابْتَهَجْتُ أَنَا، كَمَا ابْتَهَجَ هُوَ، بِانْكَشَافِ الضَّرِّ، وَصَلَاحِ الْأَمْرِ.

يُجَابُ مِمَّا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ

### الفصل الأول

- (س١) بماذا اتَّصَفَ «أَبُو عَامِرٍ»؟ ولماذا قَدَّمَ عَلَى جَارِهِ «جُحَا»؟
- (س٢) ماذا شَاعَ عَنْ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»؟ ولماذا لَجَأَ إِلَى حِيلَتِهِ؟
- (س٣) ماذا فَعَلَ «رَأْسُ الْوَزَّةِ» لِيَهْرَبَ؟
- (س٤) ما الاتِّفَاقُ بَيْنَ «أَبِي عَامِرٍ» وَصَاحِبِهِ؟
- (س٥) ما اقْتِرَاحُ «أَبِي عَامِرٍ»؟
- (س٦) ما هُوَ مَوْقِفُ الْوَالِي؟

### الفصل الثاني

- (س١) كَيْفَ تَمَّ تَنْفِيذُ الْاِقْتِرَاحِ؟

- (س٢) كَيْفَ تَنَارَعَ الدَّائِنُونَ؟  
(س٣) مَاذَا صَنَعَ وَكَيْلُ الدَّائِنِينَ؟ وَمَا مَوْقِفُ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»؟  
(س٤) مَا مَوْقِفُ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» مِنَ الْوَالِي؟ وَمَاذَا كَانَتْ الْعَاقِبَةُ؟  
(س٥) لِمَاذَا أَطْلَقَ الْوَالِي «رَأْسَ الْوَزَّةِ»؟ وَمَاذَا تَيَقَّنَ الْوَالِي آخِرًا؟  
(س٦) بِمَاذَا حَكَمَ الْوَالِي؟ وَمَاذَا كَانَتْ النِّهَايَةُ؟  
(س٧) كَيْفَ تَصَوَّرَ «جُحَا» صَنِيعَ «رَأْسِ الْوَزَّةِ» مَعَ «أَبِي عَامِرٍ»؟  
(س٨) مَا نِهَآيَةُ مَوْقِفِ «رَأْسِ الْوَزَّةِ»؟

### الفصل الثالث

- (س١) مَا تَفْسِيرُ «جُحَا» لِمَا حَدَّثَ؟  
(س٢) مَاذَا تَوَقَّعَ «جُحَا»؟  
(س٣) مَنِ الْمَسْتَوِلُ عَنِ الْعُدْرِ؟  
(س٤) مَا نَتِيجَةُ الْعَهْدِ مَعَ الذُّئْبِ؟  
(س٥) مَاذَا صَنَعَ «جُحَا» لِلْأَطْمِئْنَانِ؟  
(س٦) مَا مَوْقِفُ السَّيِّدِ مِنَ ابْنِ الْعَمِّ؟ وَمَا مَوْقِفُ ابْنِ الْعَمِّ مِنْهُ؟  
(س٧) بِمِ وَصَفِ «أَبُو عَامِرٍ» «جُحَا»؟ وَلِمَاذَا أَبْتَهَجَا مَعًا؟